

تفسير البحر المحيط

@ 182 @ الرسول وغير ذلك من الآيات التي أخفوها ، وأدرج تعالى تحت الإلزام توبيخهم وإن نعى عليهم سوء حملهم لكتابهم وتحريفهم وإبداء بعض وإخفاء بعض ، ف قيل : جاء به موسى وهو نور وهدى للناس فغيرتموه وجعلتموه قراطيس وورقات لتستمكنوا مما رمت من الإبداء والإخفاء ، وتتناسق قراءة التاء مع قوله : { عَـلِمْتُمْ } ومن قال : إن المنكرين العرب أو كفار قريش لم يمكن جعل الخطاب لهم ، بل يكون قد اعترض بني إسرائيل فقال : خلال السؤال والجواب : تجعلونه أنتم يا بني إسرائيل قراطيس ومثل هذا يبعد وقوعه لأن فيه تفكيكا لنظم الآية وتركيبها ، حيث جعل الكلام أولا خطابا مع الكفار وأخرا خطابا مع اليهود وقد أوجب بأن الجميع لما اشتركوا في إنكار نبوة الرسول ، جاء بعض الكلام خطابا للعرب وبعضه خطابا لبني إسرائيل ، وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بالياء على الغيبة في الثلاثة . . { وَعَـلِمْتُمْ مَّـلَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ } ظاهره أنه خطاب لبني إسرائيل مقصود به الامتنان عليهم وعلى آبائهم ، بأن علموا من دين الله وهداياته ما لم يكونوا عالمين به لأن آباءهم كانوا علموا أيضا وعلم بعضهم وليس كذلك آباء العرب ، أو مقصود به ذمهم حيث لم ينتفعوا به لإعراضهم وضلالهم ، وقيل : الخطاب للعرب ، قاله مجاهد ذكر الله منته عليهم أي علمتم يا معشر العرب من الهدايات والتوحيد والإرشاد إلى الحق ما لم تكونوا عالمين { وَلَا آبَاؤُكُمْ } وقيل : الخطاب لمن آمن من اليهود ، وقيل : لمن آمن من قريش وتفسير { مَّـلَا لَمْ تَعْلَمُوا } يتخرج على حسب المخاطبين التوراة أو دين الإسلام وشرائعه أو هما أو القرآن ، قال الزمخشري : الخطاب لليهود أي علمتم على لسان محمد صلى الله عليه وسلم) مما أوحى إليه { مَّـلَا لَمْ تَعْلَمُوا } وأنتم حملة التوراة ولم يعلمه آباؤكم الأقدمون الذين كانوا أعلم منكم أن هذا القرآن يقص على بني إسرائيل أكثر الذي هم فيه يختلفون ، وقيل : الخطاب لمن آمن من قريش { لَتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرَ آبَاؤُهُمْ } انتهى . . { قُلِ اللّٰهُ } أمره بالمبادرة إلى الجواب أي قل الله أنزله فإنهم لا يقدر أن يناكروك ، لأن الكتاب الموصوف بالنور والهدى الآتي به من أيد بالمعجزات بلغت دلالة من الوضوح إلى حيث يجب أن يعترف بأن منزله هو الله سواء أقره الخصم بها أم لم يقر ، ونظيره : { قُلِ أَيْ شِدِّءَ أَكْبِيرُ شَهَادَةً قُلِ اللّٰهُ } . قال ابن عطية : ويحتمل أن يكون المعنى فإن جهلوا أو تحيروا أو سألوا ونحو هذا فقل الله انتهى ، ولا يحتاج إلى هذا التقدير لأن الكلام مستغن عنه . .

{ تُمْ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ } حال من مفعول ذرهم أي من ضمير { لِّلذَّاسِرِ
تَجْعَلُونَهُ قَرَابِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعَلَّامْتُمْ مَّا لَمْ
تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آيَاؤُكُمْ قُلِ اللَّاهُ تُمْ ذَرَّهُمْ فِي خَوْضِهِمْ } و
{ فِي خَوْضِهِمْ } متعلق ب { ذَرَّهُمْ } أو ب { يَلْعَبُونَ } أو حال من {
يَلْعَبُونَ} وظاهر الأمر أنه موادة فيكون منسوخاً بآيات القتال وإن جعل تهديداً أو
وعيدا خالياً من موادة فلا نسخ . .

{ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ } أي وهذا القرآن لما ذكر وقرر أن إنكار
من أنكر أن يكون □ أنزل على بشر شيئاً وحاجهم بما لا يقدر على إنكاره أخير أن هذا
الكتاب الذي أنزل على الرسول مبارك كثير النفع والفائدة ، ولما كان الإنكار إنما وقع
على الإنزال فقالوا : { أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا } ، وقيل : { قُلْ مَنْ أَنْزَلَ
الْكِتَابَ } كان تقديم وصفه بالإنزال أكد من وصفه بكونه مباركاً ولأن ما أنزل □ تعالى
فهو مبارك قطعاً فصارت الصفة بكونه مباركاً ، كأنها صفة مؤكدة إذ تضمنها ما قبلها ،
فأما قوله : { وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ } فلم يرد في معرض إنكار أن
ينزل □ شيئاً بل جاء عقب قوله تعالى : { وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى وَهَارُونَ
الْفُورْقَانَ وَضِيَاءً * وَذِكْرَى * لِّلْمُتَّقِينَ } ذكر أن الذي آتاه الرسول هو ذكر
مبارك ولما كان الإنزال يتجدد عبر بالوصف الذي هو فعل ، ولما كان وصفه بالبركة وصفاً لا
يفارق عبر بالاسم الدال على الثبوت . .

{ مَّصَدِّقُ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ } أي من كتب □ المنزلة ، وقيل التوراة ، وقيل
البعث ، قال ابن عطية : وهذا غير صحيح لأن القرآن هو